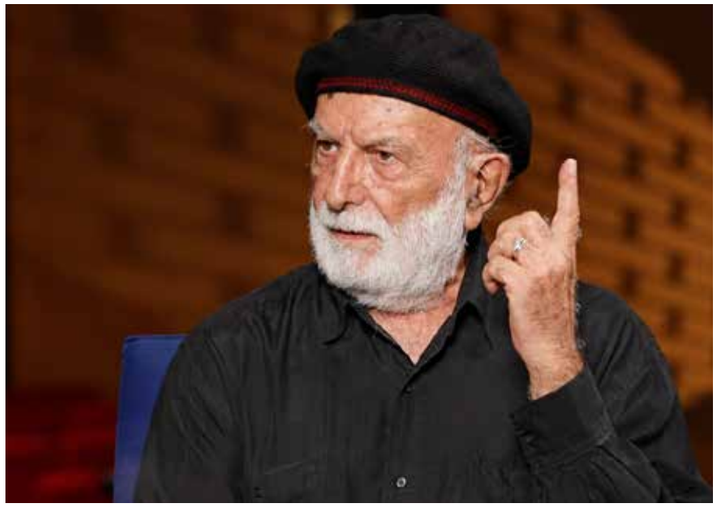
ثقافة

من الخشبة إلى الشاشة حارسًا للهوّية اللبنانيّة
منير معاصري مسيرة فنان حمل همّ الإنسان

ليس من السهل اختصار منير معاصري في صفة واحدة. فهو الممثل الذي وقف على الخشبة في مرحلة تأسيس المسرح اللبناني الحديث، والمخرج والكاتب والمنتج الذي خاض اكثر من حقل فني، والاستاذ الذي نقل خبرته الى اجيال من الممثلين. وبين نيويورك وبيروت، والمسرح والسينما والتلفزيون، تبقى رؤيته للفن حارسا للحقيقة وضميرا للحضارة، وهمه في صون الهوية الفنية اللبنانية



المخرج والكاتب والممثل منير معاصري.

منير معاصري (مواليد عاليه 1940) ممثل ومخرج وكاتب لبناني. درس في نيويورك على يد لي ستراسبرغ. ومنذ عودته الى لبنان بعد دراسته المسرح في نيويورك، خاض معاصري مسيرة فنية متعددة بين المسرح والسينما والتلفزيون والكتابة والاخراج والانتاج وتصميم الاضاءة. برز في مرحلة ازدهار المسرح اللبناني، فعمل مع منير أبو دبس في "هملت" و"الاستثناء والقاعدة"، ومع عصام محفوظ وروجيه عساف في "كارت بلانش"، ومع ريمون جبارة في"لتمت دسدمونة" و"تحت رعاية زكور" و"شربل"، ومع شكيب خوري في "كباريه". سينمائيا، كتب واخرج وانتج "القدر" عام 1972، وجسد جعفر بن أبي طالب في "الرسالة" لمصطفى العقاد، الى جانب مشاركته في "غارو" و"المليونيرة" و"الاخرس والحب" و"وداعا يا لبنان". كما تعاون مع ماجدة الرومي بين 1981 و1990، فأخرج حفلاتها وصمم اضاءتها في مهرجانات عربية ودولية، بينها قرطاج وجرش وبغداد ودمشق ونيويورك. لم يقتصر عطاؤه على العمل الفني، بل اسهم في تدريب اجيال على فنون الاداء، وقدم اعمالا مسرحية بينها "شربل" و"صانع الاحلام" و"قندلفت يصعد إلى السماء"، تاركا مسيرة امتدت عقودا وتوزعت بين الخشبة والشاشة وخلف الكواليس.

"الامن العام" اجرت حديثا مع المخرج والكاتب والممثل منير معاصري عن مسيرته الفنية والمسرح والذاكرة الثقافية.

■ كيف بدأت علاقتك بالفن؟ وهل كان دخولك الى المسرح قرارا شخصيا ام مسارا فرضته عليك الظروف؟

□ لم اختر مهنتي لرغبة في أن يراني الناس او طلبا للشهرة، بل كان الاختيار لأن كما هائلا من الحكايات كان يعتمل في داخلي. كان لدي الكثير لاقوله، واردت ان يشاركني اياه ويختبره اخي الإنسان، وهذا هو الدافع الوحيد. فالتقنيات والفنون على تنوعها - سواء كانت مسرحا، ام سينما، ام تلفزيونا، ام رسما، ام موسيقى، ام رقصا، ام كتابة - ليست سوى وسيلة للتعبير وليست هدفا في ذاتها. المسرح والسينما بالنسبة الي هما وسيلة لتوصيل افكار وقضايا تحب ان يتعرف عليها انسان آخر ويختبرها معك.

> **نعيش في لبنان حالة تشتت في ظل هوية hybride**

■ ما الذي جذبك تحديدا الى عالم المسرح في بداياتك؟

□ عشت طفولة شهدت ولادة حكاية صغيرة، اذ كان ابن عمتي يعمل مشغل عرض سينمائي (اوبيراتور) في مدينة عاليه التي انتمي إليها. وكانت والدته ترسلني اليه ظهرا لأوصل له وجبة الغداء، فكنت اجلس في الصف الاول واشاهد الافلام بشغف، وهذا شيء يجذبني. كنت في صغري امثل مع اخوتي والجيران مسرحيات نقلد فيها الابطال الذين نراهم على الشاشة. وحين وعيت على الحياة، وجدت ان الفن وسيلة يمكن للمرء من خلالها الوصول الى اعداد كبيرة من الناس. كنا في الستينات حيث لم تكن هناك سوى صالات سينما معدودة، وكان تلفزيون لبنان القناة الوحيدة. اليوم اصبحت التكنولوجيا في متناول الجميع من خلال الهواتف المحمولة للوصول الى العالم اجمع. فكان الدافع الاساسي هو ايصال افكاري الى اكبر عدد ممكن من البشر لكي يشاركوني اياها.

■ عندما تنظر اليوم الى بداياتك، ما الذي تغير فيك كفنان وما الذي بقي ثابتا؟

□ الثابت الوحيد هو الانسان والحاجة الانسانية. على الرغم من التغيرات الجذرية التي طرأت على هويات المجتمعات في العالم والتحولات الديموغرافية في اوروبا والاميركيتين، فان المشكلة الاساسية تظل في جوهر الانسان. لقد قطعت التقنيات في المسرح والسينما والتلفزيون شوطا خياليا، لكن من الناحية الانسانية هناك تراجع ملحوظ وليس تقدما. الانسان في حاجة اليوم الى الفن اكثر من اي وقت مضى، بسبب تشتت الافكار وضبابية الرؤية وفقدان البوصلة الانسانية وسط سيطرة المادة والسعي المحموم وراء الشهرة بشتى الوسائل.

■ من هم الفنانون او المخرجون الذين تركوا اثرا في تكوينك الفني في لبنان والخارج؟ وماذا عن تجربتك في نيويورك؟

□ بدأت تجربة نيويورك بقصة طريفة، اذ سمعت بالمخرج الشهير ايليا كازان (Elia Kazan)، وبحكم وجود جيران لنا من عائلة كازان في منطقتي، ظننت انه لبناني الاصل!. فكتبت له رسالة اعبر فيها عن رغبتي بالتعلم في معهد "استوديو الممثلين" (Actors Studio) الذي كان يديره مع لي ستراسبرغ وروبرت ◄

المقال

ما الذي يبقى من الفن؟

لطالما كان الفن في لبنان له قيمة كبيرة تتجاوز مجرد الترفيه. من صوت فيروز ووديع الصافي، إلى الحان زكي ناصيف ومسرح الاخوين رحباني وزياد الرحباني، ومن حضور نصري شمس الدين إلى سينما مارون بغدادي، ومن لوحات صليبا الدويهي إلى تجارب فنانين تشكيليين كثر. كان الفن مرآة يرى فيها اللبنانيون وجوههم، وذاكرة تحفظ تفاصيل حياتهم، ومساحة لطرح الاسئلة حين تضيق السياسة والاقتصاد. لكن ماذا بقي من هذه الوظيفة اليوم، في زمن تتحكم فيه الخوارزميات بما نسمع ونرى؟ تغير المشهد اليوم بشكل جذري. فمع ظهور المنصات الرقمية، بات في امكان أي شاب أو شابة، أن ينشر اعماله ويصل إلى جمهور واسع من دون الحاجة للمرور عبر شركات الإنتاج. هذا الامر أعطى نوعا من الحرية للفنانين، لكنه جلب معه متطلبات جديدة. اصبح التوجه نحو الاستهلاك السريع، وقلق اللحاق بالموضة، وقياس النجاح بناء على عدد المشاهدات والمشتركين.

الاشكالية ليست في التكنولوجيا نفسها، بل في الطريقة التي يستخدم بها الفن. يمكن للمساحة الرقمية أن تكون مكانا للابداع والتواصل مع جمهور جديد، لكنها ايضا قد تتحول الى سوق للبحث عن الشهرة السريعة. هنا، يصبح العمل الفني مطالبا بجذب الانتباه في ثوان معدودة، مما يجعل الاغاني المتقنة تتراجع امام الاغاني الرائجة، ويتحول الفنان إلى شخص يسعى لملاحقة الترند بدلا من أن يكون صاحب رسالة.

في ظل هذه التحولات، تتزايد اهمية الهوية. الانفتاح على العالم لا يعني التخلي عن الخصوصية أو الهوية. فقد تمكن الفن اللبناني، في اوقات كثيرة، من الوصول إلى العالم بفضل ارتباطه بجذوره المحلية. زكي ناصيف مثلا استلهم من التراث، ووديع الصافي جسد صوت الجبال والقرى، اما الرحابنة فقد استخدموا الفنون في التعبير عن صورة لبنان. وفي السينما، تناول مارون بغدادي قضايا الحرب والمدن، في حين سلطت نادين لبكي الضوء على القضايا الاجتماعية في لبنان، ونقلتها الى جمهور أوسع.

يتضاعف الدور الذي يمكن أن يلعبه الفن في بلد يواجه تحديات اقتصادية وامنية كبيرة. فالفن لديه القدرة على حفظ الذاكرة ومحاربة النسيان، ولديه القدرة على تناقل ما لا تستطيع السياسة قوله، وفتح الحوار بين اللبنانيين بلغة مشتركة تتجاوز الانقسامات.

لذا، السؤال الاكثر أهمية اليوم ليس "ماذا يمكن أن يفعل الفن؟" بل "ماذا يريد أن يقول؟". الفن الحقيقي لا يقاس بمدى المشاهدات، بل بمدى تأثيره ودوامه بعد انتهاء العروض. التحدي أمام الجيل الجديد هو استخدام التكنولوجيا بصورة ذكية من دون أن يسمح لها بأن تسيطر عليه. يجب أن يتماشى مع العالم، لكن لا ينبغي أن يفقد صوته وهويته.

الفن اللبناني اليوم لديه فرصة ليكون ذاكرة حية، ضميرا ناقدا، وجسرا يربط بين اللبنانيين. ينبغي أن يسعى للعمق والمعنى بدلا من الانغماس في الارقام والشهرة، وأن يبقى حاضرا في الاذهان حتى بعد انتهاء الموجة.

ميرنا الشدياق

◄ لويس. ارسلت الرسالة مع صديق كان يزور واشنطن ونيويورك ضمن وفد ثقافي، فجاءني الرد منه بأنه تركي من اصل قبرصي وليس لبنانيا. لقد نصحني بعدم السفر بسبب وجود تمييز في الستينات ضد القادمين من الشرق الاوسط. اعتبرت الامر تحديا، وسافرت اليه في المعهد، فتفاجأ باصراري ورغبتي، ومن هناك انطلقت المسيرة. كان لي ستراسبرغ هو من يدرس التمثيل هناك لأن كازان كان منشغلا بالاخراج دائما. اما في لبنان، فلم تكن لدينا تقاليد مسرحية راسخة في ذلك الوقت، حتى ان الذين اسسوا المسرح في مصر كانوا من اصول لبنانية امثال جورج ابيض وامين الريحاني. وعندما عدت الى لبنان كانت بداية العصر الذهبي للفنون، حيث بدأنا تأسيس سينما ومسرح مع عودة المتخصصين من ايطاليا وفرنسا. التأثر لا يقتصر على شخص واحد بل على المناخ الفني باكمله، وقد تأثرت بالوسيلة الفنية كاداة ونقل الرؤى الانسانية للمجتمع.

■ هل تعتبر أن التجارب الصعبة في الحياة تصنع فنانا اكثر عمقا؟

□ لا شك في ذلك، ينبغي للانسان أن يسأل نفسه اولا: لماذا اتيت الى هذه الارض؟ ومن انا؟ وماذا اريد أن اكون؟. انطلاقا من الاجابة عن هذين السؤالين، تتضح معالم الحياة وتعرف مسارك ورسالتك بوضوح.

■ ما العمل الذي تعتبره محطة مفصلية في مسيرتك الفنية ولماذا؟

□ من حيث الشهرة الجماهيرية، كان فيلم غارو (Garou) المحطة الاولى، وهو عمل مقتبس عن قصة حقيقية لشخص خارج عن القانون من الجالية الارمنية، ونال شهرة واسعة في العالم العربي. ثم جاءت التجربة المسرحية والمشاركات في المهرجانات في دمشق وقرطاج والعراق. كان المسرح في لبنان يتمتع بحرية التعبير مقارنة ببعض الدول التي أمّم فيها المسرح، فكنا نمثل التيار المسرحي التقدمي - الطليعي Avant-garde ونلقى اقبالا كبيرا. من هنا نشأت التقاليد والارضية المسرحية اللبنانية بعد محاولات فردية سابقة لميشال هارون وآل النحاس. على الرغم من ان اقدم مسرحية في تاريخ البشرية وهي "جلجامش" ولدت في منطقتنا، الا اننا لم نحافظ على هذا التراث وانتقل المسرح تاريخيا الى اليونان. لذا كانت حركة الستينات هي التأسيس الحقيقي لتراث مسرحية وارضيته.

■ كيف كانت اشكالية السينما واللغة في بداياتها؟

□ كانت السينما تعاني من شح الامكانيات والموارد، اضافة الى اشكالية اللغة، اذ كان هناك اعتقاد شائع بأنه لن يفهم احد اللهجة اللبنانية في العالم العربي. كان التلفزيون ينتج الاعمال باللهجة المصرية أو باللغة الفصحى لضمان الانتشار، باستثناء بعض البرامج المحلية مثل "ابو سليم" و"ابو ملحم". وكان هذا التنازل عن لغتنا وهويتنا لصالح التسويق، خطأ تاريخيا وشعورا زائفا بالاقلية.

■ ما الذي يميز المسرح عن السينما والتلفزيون بالنسبة اليك؟

□ جميعها وسائل تعبير ذات امكانات متطورة. وعلى الرغم من ان المسرح يمتاز بالتفاعل واللقاء المباشر مع الجمهور، الا انه لا يوجد فرق جوهري لدي بين هذه الوسائل، اذ يفترض الا يتأثر الممثل بالجمهور سلبا او ايجابا.

■ هل لا يزال المسرح اللبناني قادرا على التأثير في المجتمع كما في السابق؟

□ كلا، المسرح اليوم يمر بحالة من الهشاشة ومجرد تفريغ للشحنات النفسية والتعليق السطحي على الاحداث اليومية والمجتمعية، بدلا من الغوص والبحث في عمق الازمة اللبنانية والقضايا الوجودية. المسرح فاقد لهويته ومشتت، ينسخ ويقلد الثقافات الاخرى لكوننا بلدا صغيرا لم يرسخ بعد هويته التراكمية عبر الزمن.

■ كيف انتقلت من التمثيل الى الاخراج، وماذا اضاف الاخراج الى رؤيتك كممثل؟

□ الفن بكل اشكاله وسيلة، والدراما تقوم على قاعدة ثلاثية الاركان: (الكاتب، المخرج، الممثل) كحامل ثلاثي الارجل اذا اختل احدها انهارت البنية برمتها. الاختلاف يكمن فقط في الوظيفة والمسؤولية الملقاة على عاتق كل منهم، وقد تجتمع هذه العوامل في شخص واحد كما فعل ميل غيبسون.

■ كان لديك تجربة في اعمال تتناول الانسان والدين (مثل عمل "مار شربل")، كيف تنظر الى العلاقة بين الفن والدين؟ وما تفاصيل تجربتك في هذا العمل؟

□ العلاقة طبيعية لأن الحياة قائمة على الايمان بالانسان، والاديان تعنى بتنمية انسانية الانسان، ما لم تسيس الاديان فتحدث الصراعات. اما عن تجربة "مار شربل"، فالممثل حين يتبنى دورا يجب ان يتجرد من ذاته ويذوب في الشخصية. كان علي كانسان خاطئ ان اتجرد من ذاتي الخاطئة لأدخل في قداسة شخصية شربل، وهي تجربة عبور صعبة جدا كانت تتطلب مني الحضور قبل ثلاث ساعات الى المسرح للعزلة والتهيؤ النفسي. قدمنا المسرحية بطلب من السلطات الكنسية في روما عند تطويبه باللهجة اللبنانية في مسرح يتسع لـ 2500 مشاهد على مدى 4 حفلات (10 آلاف مشاهد)، ونقلت عبر الاذاعة مباشرة. ثم اعدنا تقديمها في الكازينو وجل الديب ومسرح الباب بعد 20 عاما، وننوي اعادة تقديمها مسرحيا مستقبلا.

■ عندما تقارن بين فن الامس وفن اليوم، ما الفارق الاكثر وضوحا بالنسبة اليك؟

□ من الناحية التقنية هناك تقدم هائل يمكن المخرج من تجسيد كل ما يحلم به، لكن الضائع هو الانسان وانسانيته. المشهد الفني اليوم يطغى عليه العنف والاجرام والاباحية على المنصات الرقمية مثل "نتفلكس" ووسائل التواصل الاجتماعي، مما ادى الى تراجع المضمون الانساني.

■ في الماضي كان الفنان يحتاج الى سنوات ليصنع اسمه، واليوم قد يصبح الشخص معروفا خلال ايام، ماذا تغير في مفهوم الفن؟











□ الخيار يعود للفنان نفسه، حين كنت ادرس، كنت اسأل الطلاب: "هل تريدون ان تكونوا نجوما مشهورين (Celebrity) ام ابطالا (Hero)؟". غالبية الطلاب يختارون الشهرة السريعة التي تعتمد مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة". اما طريق البطولة فتجعل الوسيلة ذات قيمة سامية. الفضيحة تنسى بعد فترة قصيرة، بينما ارسطو لا يزال حيا حتى اليوم لأن الطريق الذي اختاره يعيش آلاف السنين.

■ ما الذي يزعجك في المشهد الفني اللبناني اليوم؟

□ الضياع التام وفقدان البوصلة للهوية الوطنية والفنية، اذ نعيش حالة تشتت في ظل هوية hybride كما نبحث عن شيء لا نعرف ماهيته.

■ ما الذي يمنحك الامل بأن الفن اللبناني لم يفقد دوره؟

□ ايماني بالمرتكز الاساسي وهو الانسان. التقنيات متوافرة ومطمئنة، ورهاني الدائم أن يتغير الانسان ويستغل هذه الوسائل لخير البشرية وليس لهدم المجتمعات.

■ ما الرسالة التي توجهها للفنان الشاب الذي يبدأ اليوم في عالم المسرح والسينما والتلفزيون؟

□ اذكره بالثلاثية التي اعتمدتها في مسيرتي الفنية:

1- الفن هو حارس الحقيقة.

2- الفنانون هم ضمير الحضارة.

3- الفن يحمل هوية وطنه، ومنها ينطلق إلى العالمية.

على الفنان أن يتحلى بالنزاهة والشفافية والتناغم مع مجتمعه ليعكس آلامه ويكون مرآة واشعاعا للآخرين.

■ ماذا خسر الفن اللبناني وماذا ربح بين زمن كنت فيه شاهدا وصانعا للفن وزمن التكنولوجيا الحديثة؟

□ منذ 50 او 60 عاما كنا نبحث عن تعريف هويتنا الفنية، لكن اندلاع الحرب قصم ظهر هذا النمو والمسار الذهبي. زمن التكنولوجيا اليوم يعتني بالقضايا السطحية على حساب العمق الانساني. أملي ورجائي من جيلنا أن يسلم الشعلة التي حملناها طوال هذه العقود الى أيد أمينة من الاجيال الصاعدة لتواصل المسيرة وتصل بها الى آفاق أبعد.

م. ش